

مَاحِكَةُ قُرْآنِيَّة

للشيخ محمد المحذوب
المدرس في الجامعة

قصة موسى للقلوب ذكروا
اليتيم وافاه الى بطن أمه
وصب فرعون على الأطفال
مجزرة رهيبة عصبية
وذاك ان الكاهنين أخبروا
يكون في حلوله النهاية
وكلش ذا على يدي وليد
فلم يجد جسرا الى النجاة
فأترع الغاشم بالدم الثرى
من كل مولودٍ بعمر البرعم
حتى رأى الجزار ان الخطرا

— ٢ —

وذات يوم حمل الماء الى
فأقبلوا يستطلعون أمره
ففوجئوا بطلعة كالقمر
طفولة تسبي القلوب والنهي
.. وهم فرعون بأن يسلبه
لكن أمر الله كان الغالب

حدائق الطاغى وعاء مقفلا
ليحملوا الى الظلوم سره
يزوي سناها برفيف الزهر
بما تسربت به من البها
حق الحياة يتحدى ربه
فكف عنه لطفه المعاطبا

فكان فيه بهجة المحافل
عنه ليحظى بالثناء غالبا
وهو بكف شارب الدماء
لابدع فالله هو الموفق
حتى ترى أعداءه يسعون له
ليعلن الله خفي حكمته
وعاف كل لبس وماء
تسعد ذا الطفل ولا تشقى معه
عن كسب وتستين خبره
لما تزل ترقبه في لهفة
بعد فراق كاد يحسوا الأمل

وهكذا احتواه قصر القاتل
كل يود لو يراه راضيا
وهكذا صين من الإيذاء
في غمرة اللظى ولا يحترق !
ان يثرد الأمر سهلا سبلا
فهم برغم أنفهم في خدمته
.. وأمسك الطفل عن الأثداء
فانطلقوا يلتمسون مرضعه
وكانت أخته كقص أثره
فابتدرت ترشدهم الى التي
ورد للأم فطارت جدلا

— ٣ —

يشب كالواحة وسط القفر
الا نفاراً من أولي الضلال
يصبه الطاغى على أسراه
على أولئك العتاة الشرقي
وهو الذي ليس له من يسمع
بين الجموع وهو لا يحير
يلتمس العون على ظلوم
ووكز العادي فوافاه الردى
حصاد ماجر عليه الغضب
مسلياً زمامه الى القضا

وراح موسى في ظلام الكفر
مان تزيده خطى الليالي
.. وهاله البغي الذي رآه
فبات يغلي صدره بالحق
لكنه لم يدر ماذا يصنع
وذات يوم بينما يسير
أتاه صوت خائف مظلوم
فلم يطق صبراً على ماوجدا
فبات موسى خائفاً يرتقب
ولم يطل مقامه حتى مضى

— ٤ —

الى شعيب ، ولنعم الجار
ثم أصاخ مطرقاً إليه

وبعد لأي ساقه التيار
وقص فحوى أمره عليه

ومن يعد بربه لم يخف
ثمانياً مكن له فوق المنى
فارقته في لهفة لأهله
أم بنيه ، وخلا الوفاض
فقال : دفع ذلك أو ضياء
في سمعه مالم يكن منتظراً
ونال موسى علم مالا يعلم
يحمل أمر الله والآي العلى

فقال : أنت آمن في كنفي
ولبت الفتى بطل مدينا
حتى إذا وفى صدق أهله
وفي الظلام أدرك المخاض
ولاح عن بعد له لألاء ..
لكنه ما أن دنا حتى سرى
.. ورقت النجوى وطاب الكلم
ومن هنا مضى نبياً مرسلًا

— ٥ —

وما سوى إيمانه من عون
محاولاً بث الهدى في قلبه
ولم يزدده اللين إلا عسرا
ذاك الغشوم المستبد العاتي
لتقهر موسى كل من به اشتهر
عند ازدحام القوم في المدينة
واظطرم البغي ، وجئن الغي
فخيلوا الساق إليهم راساً
لولا نداء من وراء الحجب :
اذن ترى الباطل كيف يزهد
إذا بصروا خلف عصاموسى الهدى
فطاش حتى لم يطق من صبر
كادت تشل فجأة سريره
يكبح عنه يقظة الألباب
مقطعي الأوصال والأعصاد

واقترح القصر على فرعون
وبلغ الطاغى وحي ربه
لكنه لم يبد إلا كبراً
وظل رغم رؤية الآيات
قد ظنها سحراً فنادى فحشر
وجعل الموعد يوم الزينه
وصفت الأجل والعصي
واسترهب المشعوذون الناسا
وكاديعروا خوف أعصاب النبي
لاتخش واقذف بالعصا ما اختلقوا
هنا خر الساحرون سجداً
وكان فرعون يرى ما يجري
ويا لها فضيحة كبيرة
لذاك لم يلف سوى الارهاب
فعلق القوم على الأعواد

يقول : ليس للعصاة عندنا
ذاك المصيرُ حظ كل صادف
الا الذي تشاهدونه هنا
عن أمرنا .. والويل للمخالف !

— ٦ —

وامتحننت مصر بالآفات الكُبرُ
فالدِّم والقُمْلُ والضفادعُ
فلم يروا منجىً من الدواهي
فقادَ موسى تلكم الأسارى
لينفضوا عن طبعهم ماعلقا
لكنَّ فرعونَ ومن قد صانعه
لذا عدا وراءهم بقوته
ومذ تراءى ثمة الجبعان
فصاح : كلا .. لا مكان للوهن
من شؤم فرعون ورهطه الأشر
بعض الذي جاءت به الفجائع
إلا بإطلاق عباد الله
الى عرين الاسد في الصحارى
من دنس الذلة في عهد الشقا
رأوا خلاص القوم خسراً وضعه
يريدُ ردهم لصون هيئته
نادى ذوو موسى : هلاك داني
ان معي ربي سيدفع المحن

— ٧ —

وجاءه الوحي : ان اضرب بالعصا
وشد فرعون وراء القوم
اذ أطبق الموجُ عليهم أجمعاً
وهاهنا أقرَّ فرعون بما
يهتف آمنت بربِّ موسى
وابهج المستضعفين أن يروا
.. ويقذف البحر أخيراً بدنه
فيعلموا أن الذي قد عبدوا
في البحر يفسح للحيارى مخلصاً
فكان للباغين شر يوم
فلم يدعُ لراجٍ مطمعا
أنكر من قبلُ عناداً وعمى
والموت ماض يخطفُ النفوسا !
معدّ بهم يسطلون ماجنوا
لينشق المضكّلون تنه
لم يك الا جيفةً وتفسد !

— ٨ —

لكن موسى لم يجزُ ذا الخطرا
فكم عليه فتنةً آثاروا
حتى تلقى من يهود الأخطرا
وفريةً ليس لها قرار

وهو الذي في الظاهر صنوا للنور
ويلُ أمه من أنك مأفون
فقابل الفضل بأصناف النقم
كل دني النفس والميول
ذات سقاء من حظيات الهوى
ومدها بالمنح الكبيرة
في قحة الوغد ، وكيد الفجر
أي حجي في مثله لم يضع !
موصولة بضابط البريه
وليس عن عينه شيء يعزب
ألست في عصمته محروسا ؟

حتى لقد رموه بالفجور
وكان ذا على يدي قارون
أثقله الله بأعباء النعم
وراح يستعدي على الرسول
حتى لقد أغرى به ، وما رعى ،
زودها بالتشهم الحقيقه
فأقبلت تقذفه بالمنكر
ويا لهو المأزق المضعضع
لكنها النبوة العلية
سر من الله الذي لا يغلب
فثق إذا بنصره ياموسى

— ٩ —

واجه موسى خطط الغواة
بمن لهم شق الخضم واصطفى
حتى يبين الحق دون ستر
أمام ذاك الوازع الرباني
قارون قد أضلني وافسدا ،
لكل ذي بصيرة وباصره
يشيع روح الاثم والمظالم
لأمر موسى وغدا مذكلا
قصوره وماحوت من متع
وعقد الألسن ثم الرهب
الحمد لله نجونا وهلكك !
لساق مثل خزيه إلينا !

وفي وقار الرسل الهداة
فقام يستنطقها مستحلفا
« إلا كشفت عن دفين الصدر
ولم تطق صبرا على الكتمان
فاندفعت تصرخ في غير هدى :
واتضحت قواعد المؤامرة
فلم يعد خيرا بقاء الظالم
فأمر الله الثرى فامثلا
فصاح : يا أرض خذيه وابلعي
وغاص قارون .. وغاص الذهب
وقال كل راغب في ممالكك :
لو لم يمن ربنا علينا

وهكذا يرتفعُ اليتيمُ
وكم بذاك وبذا من عبرٍ
ليعلم المستيئون الغفلُ
وليس فرعونُ وقارون اذن ..
يكرر التاريخُ فيه نفسه
فانظرُ هنا ، ثم تأملُ ثما
حتى العذارى يقتحمن الحمما
وليس من ذنب سوى الايمان
وكلُّ ما يدعونه عداله
.. فقل لجلاذي الهداة الشرِّفا
اللهُ أعلى منكم وأقدرُ
لكنه يُمهلُ أهل الباطلِ
وعندذاك يبدأ الحسابُ
وقد لمستم لوعقلتم - نذره
فالنملُ والسيولُ والحرائقُ
حتى حقولكم ، وكانت مصدرا
فأتم لولا هباتُ الغربا
وليتكم تنتفعون بالنشوبِ
لكنكم ألفتُم الظلاما
وهو لعمرى الخلقُ القديمُ
فارتقبوا عواقب الجناةِ

ويستقطُ الظلوم والعظيمُ
يُتحفنا بها لسانُ القدرِ
بأن نصر الله حتماً مقبلُ
سوى مثال البغي في كل زمن
فيومه يكاد يُنسي أمسه
تر الأباة يجرعون السُما
مهتكاتٍ يجتررن العلقما
ان لاحياة بسوى القرآن
في غيره ليس سوى ضلاله
والقاذفي بالإفك جند المصطفى :
ومكره من كل مكر أكبر
حتى تموت حجةُ المُجادلِ
والويل حين يهجم العذاب !
بالنكباتِ السابقاتِ غيره
والجذبُ والافلاس والبوائق
للرزق ، غاض خيرها فما يرى
ما وجدت بطونكم غير الهبا
اذن دفعتم عن حماكم العطب
فلا ترون في الجنون داما
يُعيد ماقد لقي الكليمُ
واستيئسوا من أمل النجاة

* * *

.. وياجنود الحق : صبراً انها هنية .. ثم يكون المنتهى !